أبو الفضل محمد بن محمد المشدالي

« العلامة الموسوعي الرحالة »

بقلم

د. نور الدين مداح (*)

ملخص

هذا البحث هو ترجمة لعالم من علماء مشدالة (مدينة شرق البويرة حاليا)، جاب حواضر العالم الاسلامي متعلما و معلما، فعرف العلماء له قدره وفضله. فانطلقت عباراتهم بالثناء عليه، والتنويه بمكانته، حتى لقب بشيخ شيوخ الإسلام: إنه الإمام العلامة الفاضل أبو الفضل محمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد بن حسن بن عبد المحسن المشدالي البجائي المغربي المالكي(ت864هـ) الذي قيل فيه بأنه" أعجوبة الزمان"، و"أحد أذكياء العالم". البارع في الفنون العقلية و النقلية، له صيت وسمعة، وشهرة طائلة، إلا أن مترجمنا لم يعدم حسّادا ومناوئين، ممن حاولوا جحد فضله، وطمس فضائله، فأهل بلده المغاربة لا يقرون له بالفضل، لأن كل بلد يحسدون من بزهم منهم سبقا، وعلاهم فوقا، وأعلاهم فضلا. ورأى في مصر نكايات من جحد فضله، فاتهم بتهم سذاجة، انطلت على بعض العلماء والمؤرخين لأمر في نفوسهم؛ مما حذا بأبي عصيدة أن يقول:" وفي شانيه جهل مركب، فدع قول الذي يتعصب". وقد أثبتت هذه الورقات وهاءها وبطلانها. ومترجمنا لم يؤلف مصنفات، بل ألف رجالا، "فقد تتلمذ عليه غالب طلبة العصر "كما قال السيوطي. كما ترك لنا القاعدة العظيمة في تناسب الآيات والسور، والتي بنى عليها الإمام البقاعي تفسيره "نظم الدرر" وبالرغم من أن أبا الفضل المشدالي رحمه الله توفي في زمن الأشد، وعز الشباب، إلا أنه يصلح أن يكون مثالا

(*) أستاذ محاضر "ب" بقسم العلوم الإسلامية ـ كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ـ جامعة البويرة.

anes.meddah@yahoo.fr

لشبابنا في علو الهمة، لبلوغ المنى، وبذل أقصى الجهود لتحقيق الأماني.

الكلمات المفتاحية: علماء الجزائر- محمد المشدالي- الفقهاء.

مقدمة

أبو الفضل محمد من عائلة علمية مشهورة بالمغرب الأوسط هي عائلة المشداليين. والمشداليون من أهم البيوتات العلمية، التي ساهمت في نشر العلوم الدنيوية والدينية عقلية كانت أو نقلية، داخل الجزائر وخارجها. وكانت لهم رحلات علمية عديدة مشرقا ومغربا مَدُّوا بها جسور التواصل بينهم وبين سائر الأقطار. من خلال التدريس والمناقشات والمناظرات والجدل الذي كان يثار في مختلف القضايا الفقهية والأصولية والفكرية والعقدية واللغوية. وهذا البحث هو ترجمة لعالم من كبار علماء مشدالة، بل العالم الإسلامي جاب حواضر العلم المعروفة، مغترفا من معينها الصافي، فاشتهر بعلمه وذكائه حتى ملأ الأسماع والبقاع. ووصف بأنه أعجوبة الزمان في الحفظ والفهم وتوقد الذهن[1]، بل قال تلميذه الحافظ والمفسر البقاعي: "ما رأيت مثله، ولا رأى مثل نفسه، وأن من لم يحضر درسه ما سمع العلم ولا خرج إلى الوجود"[2]. وأنه "الإمام العلامة نادرة العصر، ومحقق الدنيا"[3]. وقال فيه الحافظ جلال الدين السيوطي بأنه: " أحد أذكياء العالم "[4]. وكفى بشهادة السيوطي شهادة. إنه شيخ الإسلام أبو الفضل، محمد المشدالي البجائي، المالكي ابن العلامة شيخ الإسلام المفتي محمد بن أبي القاسم، كان أبوه شيخ بجاية، وكذا جده وأخوه من كبار علمائها.

اسمه وكنيته ومولده:

هو محمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد بن حسن بن عبد المحسن المشدالي البجائي المالكي، اشتهر في المغرب بـ"ابن أبي القاسم" و"أبي القاسم" وبتعبير المغاربة "بلقاسم" وأبي الفضل، وبها يكنى ويشتهر في المشرق[5]. اختلف في سنة مولده فقيل سنة واحد وعشرين. وقيل: اثنتين وعشرين وجزم بعضهم بسنة عشرين وثمانمائة (820هـ)[6].

نشأته:

نشأ أبو الفضل في أسرة علمية ذات جاه وسمعة، وفقه وعلم وأدب؛ فوالده هو شيخ الإسلام الإمام العالم العلامة الفقيه الزاهد أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم (ت866هـ)

صاحب تكملة حاشية المدونة للونوغي، شيخ بلاد المغرب ورئيسها الذي تتردد إلى بابه الملوك فمن دونهم، ولهم من الرياسة والضخامة ما يجل عن الوصف كما قال البقاعي[7]، وأخوه الأكبر هو محمد بن محمد بن أبي القاسم (ت859هـ) الإمام الفقيه تصدر في بجاية وانتفع به أهل العلم وطلابه. وجده هو العلامة الفقيه الحافظ والبصير بالفقه المالكي أبو القاسم بن محمد بن عبد الصمد الزواوي المشدالي البجائي (ت حوالي 858 هـ) ومفتي بجاية وخطيبها[8]، وجده الأعلى لأمه أبو علي ناصر الدين المشدالي (731هـ) العالم المتفنن الحافظ الذي بلغ درجة الاجتهاد[9]. ومن أخوال أمه أيضا عمران بن موسى المشدالي البجائي (745هـ) الإمام المقرئ الحافظ المحقق[10]. فهو علامة ابن علامة حفيد علامة وأخو علامة، وأخواله أعلام. وهو ما وفر له الجو المناسب لتحصيل مختلف العلوم في بيته.

فحفظ القرآن الكريم في سن الخامسة، وانتهى من حفظه بعد سنتين ونصف، بل ذكر أنه حفظ حزب سبح قبل أن يتهجى من غير إقراء أحد له، وإنما بسماعه ممن يدرسه، وتعلّم العربية، وحفظ متونها، كلامية الأفعال، والكافية الشافية والتسهيل والألفية للعلامة رئيس النحاة والأدباء جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي، كما تعلّق بالشعر العربي، فحفظ عيونه ودواوينه الشهيرة، كديوان امرئ القيس والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمة وطرفة بن العبد، وحفظ في الفقه مختصر ابن الحاجب الفرعي والرسالة لابن أبي زيد القيرواني، وربع مدونة سحنون، واستوعب متون الفرائض، فحفظ أرجوزة الفقيه النحوي الفرضي أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر الشهير بالبري، وأتقن علم القراءات فتلى بالسبع على أبيه، وعلى الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي رفاع، كما أخذ قراءة نافع على الشيخين هارون المجاهد وأبو عثمان سعيد العيسوي، فحفظ الشاطبيتين[11] والخراز(محمد بن محمد الأموي الشريشي، الشهير بالخراز والمتوفى سنة 718هـ) واسم الكتاب الكامل هو: "مورد الظمآن في رسم القرآن"، كما أتقن العروض، والحساب، والصرف والنحو والأصلين والمعاني والبيان وعلوم التفسير والحديث والفقه على أبيه، ثم على أبي الحسن إبراهيم بن علي الحسناوي، وعلى غيرهما من علماء بلده[12].

رحلاته العلمية:

بعد أن هضم أبو الفضل المشدالي جل معارف علماء بلده وأتقنها، تاقت نفسه إلى الرحلة

في طلب العلم، والنهل من علماء الحواضر الإسلامية المختلفة، فكانت له رحلات كثيرة، شرقا وغربا، برا وبحرا، جاب فيها المدن والقرى، وركب البر والبحر، لطلب العلم وملاقاة الشيوخ. ومن هذه الرحلات التي سجلتها كتب الطبقات والتراجم:

- **رحلته إلى تلمسان:** أول رحلة لأبي الفضل كانت إلى تلمسان - كعبة العلم في بلاد المغرب الأوسط ومقصد العلماء من أنحاء الدنيا، وعاصمة العلم والثقافة- في أوائل سنة الأربعين وثمانمائة (840هـ) ومكث بها أربع سنوات، أخذ وباحث أبرز علمائها في العلوم العقلية؛ كالجدل والمنطق والفلسفة والهندسة والحساب، والنقلية؛ كالفقه والحديث والتفسير والأصلين، وعلوم اللغة من معان وبيان. وممن أخذ عنهم وباحثهم:

الحافظ الفقيه الأصولي المفسر المجتهد المحقق النظار قطب المغرب ابن مرزوق الحفيد، والإمام الفقيه المعمر قاسم بن سعيد العقباني، والإمام الفقيه الصدر العلم صاحب الفنون العقلية والنقلية أبو الفضل ابن الإمام، والفقيه الإمام المفتي أبو العباس أحمد بن زاغو، والفقيه العلامة المتفنن أبو عبد الله محمد بن النجار المعروف بساطور القياس(لشدة معرفته بالقياس)، وقد كان ابن النجار مرجع الناس في مختصر ابن الحاجب الأصلي، ومع ذلك كان إذا عرض له إشكال في أصول الفقه أمر بعض تلامذته أن يذكره بمحضر أبي الفضل المشدالي لعله يحله[13].

كما كانت له محاورات ومناظرات مع كثير من فضلاء تلمسان، ولم يكن يساميه أحد إلا الشريف أحمد بن أبي يحي ولم يكن يثبت له في النحو سواه، فكانا يتناظران في غالب المجالس، ويجري بينهما الكلام، وابن مرزوق يحكم بينهما، وربما طال بينهما الجدل، فيسكت ويدعهما حتى يسكتا، وهما كفرسي رهان، غير أن أبا الفضل أسد كلاما، وأشد تحقيقا، وأنفذ نظرا، في فنون العلم، مع كون أبي الفضل في سن ولد الشريف"[14]. أي أنه رغم صغر سنه إلا أنه كان آية في العلم والذكاء، ولا يدانيه في سعة العلم والتحقيق والتمكن إلا القليل من أفاضل تلمسان.

ويدلل على هذا ما نقله البقاعي عن أبرز فقهاء تلمسان وهو أن "ابن مرزوق كتب لأبيه (أي والد أبي الفضل) فيما قيل: أنه قدم علينا وكنا نظن به حاجة إلينا فاحتجنا إليه أكثر"، وقال مشيدا بعلمه وفطنته وذكائه:"ما عرفت العلم حتى قدم علينا هذا الشاب، فقيل: كيف؟ قال: لأني كنت أقول فيسلم كلامي، فلما جاء هذا الشاب صار ينازعني، فشرعت

أتحرز، فانفتحت لي أبواب من المعارف"[15]. فلمترجمنا فضل على شيخه ابن مرزوق الحفيد، بل إنه أبدع طريقة جديدة في التدريس في حاضرة تلمسان، وهي عدم التسليم للشيخ في كل ما يقول، ومناقشته والأخذ والرد معه، بل وعدم تقبل أي معلومة إلا بعد الفحص والتثبت والتبين، وهو ما يمكن أن يعبر عنه بالمنهج النقدي في تلقي العلوم.

– **عودته إلى بجاية:** عاد أبو الفضل إلى بجاية، لكن لم يطل مقامه بها. قال السخاوي: " ثم عاد إلى بجاية في سنة أربع وأربعين (أي 844هـ) وقد برع في العلوم واتسعت معارفه، وبرز على أقرانه، بل وعلى مشايخه"[16]. ورحل من بجاية أواخر (844هـ) أو أوائل(845هـ) بعد أن تصدر فيها للتدريس والإفتاء، فاستفاد منه طلبة العلم.

قال السخاوي: " وتصدر للإقراء ببجاية إلى أن رحل منها"[17].

– **رحلته إلى عنابة وقسنطينة**: انتقل الإمام أبو الفضل من بجاية قاصدا عنابة وقسنطينة، وحضر عند علمائها ساكتا كما ذكر السخاوي والشوكاني[18] أي مستفيدا فقط، فلم يدرس، ولم يقرئ، ولم يناظر بهاتين الحاضرتين مع شهرته واتساع معارفه، ولم يطل مكثه بالمدينتين، إذ لم يحل عليه الحول بهما، بل ذكر السخاوي أنه دخل تونس في أوائل سنة خمس [أي845هـ] [19].

– **رحلته إلى تونس**: ثم رحل إلى تونس، أواسط سنة خمس وأربعين [أي845هـ]، وحضر عند جميع علمائها ساكتا كذلك[20]، وذكر الشوكاني في البدر الطالع أنه دخل تونس سنة(850هـ)[21]. ولا شك أنه خطأ، والقول قول الحافظ السخاوي، لأنه مؤيد بالوقائع والرحلات التالية.

– **رحلته إلى اليونان:** انطلق الإمام أبو الفضل من تونس بحرا قاصدا البلاد المصرية، وكان المركب الذي استقله لنصارى جنويين[22]، فأتاهم ريح عاصف، فساقهم إلى سواحل جزيرة قبرص ببلاد اليونان، فمروا على "اللمسون"، و"الملاحة" ثم أرسوا في "الماغوصة"، فدخل "الأقفسية" مدينة الملك، ورأى بها غرائب، وحصل له مع بعض أساقفتها مناظرة، وخرج من جزيرة قبرص في ذي القعدة من سنة 845هـ [23].

– **رحلته إلى بلاد الشام**: ثم رحل الإمام أبو الفضل من جزيرة قبرص في ذي القعدة من

سنة845 ه إلى (بيروت) وبعدها اتجه إلى (دمشق) ثم طوّف في بلاد الشام (طرابلس) و(حماة). ثم دخل بيت المقدس، سنة 847هـ واستقر بها مدة، وشاع ذكره وبلغ علمه وفضله مسامع أهل المملكة؛ فملأ الأسماع، وصار كلمة إجماع[24]. وأخذ عنه جملة من الأعلام كابن قاضي عجلون الذي انتهت إليه رياسة الشافعية في عصره[25] والعلامة المحقق الفقيه الأصولي المفسر المحدث الإمام شيخ الإسلام الكمال بن أبي شريف صاحب الحافظ السخاوي[26]. وصف ابن أبي عذيبة رحلته إلى القدس فقال : " الإمام العلامة أوحد أهل زمانه قدم علينا القدس سنة سبع وأربعين [أي سنة 847هـ] فأقرأ العضد وكتب المنطق والمعقولات، وشهد له الأئمة ببلدنا، وبدمشق...وتعين لقضاء الشام فأبى "[27].

– **رحلته لأداء فريضة الحج**: وفي سنة تسع وأربعين أي (849 ه) شد الرحال إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، وجاور بمكة المكرمة مدة من الزمان، وتصدر للتدريس بها فأخذ عنه علماؤها، وممن أخذ عنه بمكة عالم الحجاز ورئيسها الفقيه المفتي والمفسر برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة قاضي قضاة الشافعية[28] الذي قال عنه السخاوي في ترجمة علي بن حسن بن عبد الحاكم الأجهوري:" هو عبد صالح له فهم وإحساس"[29]. ولقبه الغزي في الكواكب السائرة بـ" شيخ الإسلام "[30].

وقد ذكر أحمد أبو عصيدة أيام أبا الفضل المشدالي بمكة، التي كانت من الحسن فوق أن توصف، ولكثرة منافعها وقصر زمانها كانت كحال طارق، أو لمحة بارق كما قال في "رسالة الغريب إلى الحبيب" التي صدرها بقصيدة مطلعها:

هذي مراسلة العبد الفقير إلى كهف الأنام وفخر الوقت والسلف أتته تنشر ما قد حاز من شيم ومن جلال ومن عز ومن شرف.. إلى أن قال: وما بمكة من أيامه سلفت كانت من الحسن فوق الوصف إن تصف[31].

والمقصود بالعبد الفقير أبو عصيدة، وكهف الأنام وفخر الوقت والسلف أبو الفضل المشدالي، وكان المشدالي قد وعد تلميذه وصاحبه أبا عصيدة بأن يزور مكة والمدينة المشرفتين مرة أخرى، ويستقر بهما مما حدى به إلى نشر فضائله، حتى قال له إمام الحرم النبوي وخطيبه فتح الدين أبو الفتح بن صالح:" مع ما أراكم عليه من فرط الوداد، ونشر أوصافه الجميلة

وفضائله، وعد محاسنه وفواضله....لأنه لم يلم بهذه الحضرة الشريفة[المقصود في الزيارة الأولى] إلا كحال طارق، أو لمحة بارق، ولا سيما حين ذكرتنا بمحاسنه الفائقة، وعجائبه الرائقة"[32].

كما صرح برغبة أبي الفضل ووعده بالإقامة في الحجاز فقال:" وكذلك كان صدر وعدكم الكريم عند الوداع والتسليم أن غرضكم الحلول بهذه الأوطان الشريفة المعالم، والإلمام بهذه الآثار المشتملة على شتى هذه المكارم، وأن قصدكم الإقامة بها مدة من الأزمان، لتتملوا بحضرة الرضا والرضوان...حتى أخبرت بذلك أكثر الناس، وحصل لهم من السرور به ما لا يعد ولا يقاس...لكون لم يحصل لهم منكم ما حصل لجيران بيت الله المعظم ما حصل من الأنس والإقامة والإفادة العامة للخاصة والعامة، وكذلك لجيران المسجد الأقصى وأهل الأرض المقدسة، وهم يرون أن بقعتهم الطاهرة هي المفضلة على الجميع..."[33].

رجوعه إلى القاهرة: بعد أداء أبي الفضل لفريضة الحج، ومجاورته لفترة بالحرمين، سافر إلى البلاد المصرية، وتسامع به علماء مصر وطلبة العلم بها، بل قيل: بأنه لما دخل مصر ارتجت له، فقصده الناس ليحضوا بشرف التتلمذ على يديه، فتصدر للتدريس بالجامع الأزهر الشريف، وقد شهد له من حضر دروسه بموسوعيتة حيث كان يدرس في عدة علوم وفنون، بطريقة تبهر العقول، وتدهش الألباب. ووصفه تلميذه الحافظ برهان الدين البقاعي بحدة الذهن وصفاء الخاطر، وقوة الفهم، وسرعة الإدراك، وسعة الحفظ، ووفور العقل، واعتدال المزاج، واستقامة النظر، وبلاغة القول، وغزارة العلم ما لم يره من أحد. ونقل السخاوي عن البقاعي قوله:"ولقد حدثني غير واحد من ثقات الأفاضل أن الطلبة قالوا له تنزل لنا في العبارة، فإنا لا نفهم جميع ما تقول، فقال شيئا يكاد أن يكون كشفا: "لا تنزلوني إليكم، ودعوني أرقيكم إلي، فبعد كذا وكذا لمدة حددها تصيرون إلى فهم كلامي، فكان الأمر كما قال"[34]. وحضر دروسه في الفقه المالكي فوصفها قائلا:" ثم حضرت درسه في فقه المالكية بجامع الأزهر في ذي القعدة سنة اثنين وخمسين فظهر لي أنني ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه، وأن من لم يحضر درسه لم يحضر العلم، ولا سمع كلام العرب ولا رأى الناس، بل ولا خرج إلى الوجود، قال: ومن سمع كلامه في العلم، يعلم أنه يخبر عن مشاهدة، وأن غيره يخبر عن غيبة، وليس المخبر عن المشاهدة كالمخبر عن المعاينة، ولهذا نجد كلامه في القلب أثبت من كلام غيره"[35].

وذكر ابن أبي عذيبة أنه تولى التدريس بالقبة المنصورية[36]فدرس بها العجب العجاب، قال ابن تغري بردي في حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور: "وفي هذا اليوم(يقصد أول رجب سنة 854هـ) أيضاً استقر أبو الفضل المغربي المالكي في تدريس التفسير بالقبة المنصورية قلاوون بين القصرين، عوضا عن القاضي محيي الدين عبد القادر الطوخي الشافعي، ونزل إليها ومعه القضاة والأعيان؛ من الفقهاء وغيرهم، وجلس للتدريس على عادة من تقدمه في ذلك". وتعين للقضاء فأبى[37].

وزار الإمام أبو الفضل الحافظ ابن حجر في بيته، فلم ير منه إنصافا فامتنع من التردد عليه، وشاء الله أن يمرض الحافظ ابن حجر ويطول مرضه ويشتد، فأشير عليه بأبي الفضل، وأنه واحد عصره وفريد دهره في الطب، فطلبه عن طريق الكمال والشرف بن العطار، فامتنع أبو الفضل كراهة أن يشتهر بالطب، فلم يزالا يتلطفان به ويترفقان إلى أن أجاب، فعاده وطببه في بيته: "يوم الأحد منتصف ذي الحجة وهو في أشد المرض، فابتهج به-أي الحافظ ابن حجر- ابتهاجاً كثيراً وعظمه تعظيماً كبيراً". وسمع على سارة ابنت ابن جماعة جزء ابن الطلاية ببيتها، وعلى أربعين من العلماء والمسندين ختم البخاري بالظاهرية القديمة.[38]

- **رحلته إلى اليمن**: يذكر السخاوي أن أبا الفضل محمد المشدالي زار عدن باليمن، ودرَّسَ بها، ولا نجد شيئا من تفاصيل هذه الرحلة مدة وزمانا، إلا ما ألمع إليه في ترجمة ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن علي اليافعي اليماني الأصل المكي الشافعي المعروف بالبُطيني (بالضم لقب لأبيه)، وأنه لقي بها- أي بعدن- محمد أبا الفضل المغربي وغيره فأخذ عنهم، كما سيأتي في ترجمة ابراهيم اليافعي الشافعي.

- **رحلته إلى تركيا وبلاد الروم**: يذكر من ترجم لشيخ الإسلام المشدالي أنه زار مدينة عينتاب وهي مدينة تقع في جنوب شرق تركيا، وفيها قلعة حصينة. لكن تلميذه البقاعي يذكر في تاريخه "إظهار العصر" أن عينتاب من أعمال حلب المحروسة"[39]. وهي المدينة التي توفي بها رحمه الله تعالى رحمة واسعة، كما يذكر البقاعي نقلا عن شخصين من أهل أنطاكية أنهما رافقا الشيخ إلى برصة من بلاد الروم، كما ينقل عن شخص من المغاربة لم يسمه أنه رآه متجها من برصة؛ [وهي مدينة تقع قرب بحر مرمرة، وكانت عاصمة الدولة العثمانية] إلى أدرنة.

والاسم الكامل لأدرنة (أدريانا بوليس) أي مدينة (أدريان)، وهو الإمبراطور البيزنطي، وتوجد في القسم الأوربي من تركيا وكانت عاصمة الدولة العثمانية بعد مدينة (بورسه) وقبل فتح القسطنطينية.

وسبب هجرة شيخ الإسلام المشدالي إلى بلاد الروم كما يذكر تلميذه الوفي المفسر البقاعي، هو الاختفاء من الناس، إضافة إلى أن ملك الروم كان من أهل العلم قال: " وكان ذهابه على طريق الاختفاء من الناس، وكان قاصدا إلى بلاد الروم، لكون ملكها من أهل العلم، فكان يرجو أنه إذا سمع كلامه عرف من قدره ما جهله غيره، فرفع من منزلته بمقدار ذلك "(40).

تلاميذه:

اشتهر أبو الفضل بسعة العلم وتنوع المعارف(الموسوعية)، وبرز على الأقران بل على المشايخ، كرس حياته للعلم أينما حل وارتحل، ولم يتزوج، وحتى المناصب التي عرضت عليه كالقضاء رفضها، تخرج على يديه الكثير؛ من الطلبة والعلماء، مما حدا بابن مرزوق-شيخه- أن يكتب لأبيه مفتي بجاية:"إنه قدم علينا وكنا نظن به حاجة إلينا فاحتجنا إليه"(41). فاستفادوا من علمه، ونهلوا من معارفه. وتلاميذه هم كثرة كاثرة لا يحيط بها حصر، حتى قال الحافظ السيوطي:" وأقرأ بمصر وغيرها، وأخذ عنه غالب طلبة العصر "(42). وسأقتصر على إيراد بعضهم وأشهرهم:

1- أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرُباط بن علي بن أبي بكر برهان الدين البقاعي (809 /ت 885 هـ): المفسر المحدث الفقيه المؤرخ الأديب الشاعر. رحل إلى القاهرة فأخذ عن الشرف السبكي والعلاء القلقشندى والإمام ابن حجر العسقلاني وطائفة منهم أبو الفضل المشدالي المغربي، واستقر بها مدة، وركب البحر في عدة غزوات ورابط غير مرة، رقاه ابن حجر العسقلاني فعينه في حياة الظاهر جقمق لقراءة الحديث بالقلعة ثم منعه الظاهر في حياته. وكان البقاعي من أشد المعجبين بأستاذه أبي الفضل المشدالي حيث ترجم له كتابه (عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والاقران) وفي (إضهار العصر لأسرار أهل العصر) المعروف بـ (تاريخ البقاعي) ووصفه بـ :" الإمام العلامة نادرة العصر وأعجوبة الزمان وهو العمدة في الخوض في المناسبات التي خولف في شأنها "، وبـ" الفاضل البارع المتفنن علامة

الدنيا"و" نادرة الدهر وعلامة الأنام"و" محقق الزمان".[43].

2-القلصادي علي بن محمد البسطي المالكي (ولد حوالي سنة 814 هـ /كان حيا سنة 896 هـ)، كان رفيقا لأبي الفضل المشدالي، في الأخذ عن الشيوخ، في تلمسان كأحمد بن زاغو وقاسم العقباني ومحمد بن مرزوق، فدرس معه التفسير والحديث والفرائض والنحو والفقه والأصلين، "ثم قرأ بعض مستصفى الغزالي على أبي الفضل المشدالي لما رأى من نبله وتقدمه وفضله، وثناء مشايخه عليه [44]". اشتهر القلصادي بتآليفه الكثيرة والتي كان أغلبها في علم الحساب والفرائض، وله في علم الرياضيات ابتكارات. وكانت له الريادة في استخدام الرموز في الجبر، وذلك في كتابه "كشف الأسرار عن علم الغبار" (وهو من أشهر كتبه)، شرح الأرجوزة الياسمينية في الجبر والمقابلة، كشف الجلباب عن علم الحساب، رسالة في قانون الحساب، التبصرة الواضحة في مسائل الأعداد اللائحة، ومن كتبه في الفقه والمواريث:كتاب النصيحة في السياسة العامة والخاصة، كتاب الفرائض مع شرحه، أشرف المسالك إلى مذهب مالك، الضروري في علم المواريث وغيرها[45].

3- إبراهيم بن علي بن محمد بن ظهيرة القرشي المخزومي الشافعي، أبو إسحاق، برهان الدين، قاضي مكة (ولد 825-ت 891 هـ): ينتهي نسبه إلى سيدنا خالد بن الوليد بن المغيرة، القرشي المخزومي– رضي الله عنه- أخذ العلم عن عمه القاضي أبي السعادات وغيره، وانتفع بالشيخ أبي الفضل المشدالي المغربي في فنون كثيرة، وأخذ عن الحافظ ابن حجر، وغيرهم، برع ومهر في الفنون. وولي قضاء مكة نحو ثلاثين سنة، وكان شافعي المذهب. وانتهت إليه رياسة الحجاز على الإطلاق. قال الإمام البقاعي:" أخذ أصول الفقه عن أبي الفضل المغربي وانتفع به مالم ينتفع بغيره...قرأ في سنة خمسين على شيخنا محقق الزمان أبي الفضل المشدالي التجاني(خطأ لم ينتبه له المحققون والصحيح البجائي) جميع العضد. فعلا به علاو كبيرا " [46].

4 - برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن علي بن مسعود بن رضوان، المقدسي ثم القاهري الشافعي المري ويعرف بابن أبي شريف (ولد سنة 836 هـ، وكان حيا سنة 923 هـ): ولد ببيت المقدس ونشأ بها فحفظ القرآن وهو ابن سبع وتلاه تجويداً، أخذ عن جملة من علماء

عصره منهم الإمام أبو الفضل المشدالي المغربي،حج وسمع بمكة والمدينة على جماعة. من مؤلفاته: "شرح الحاوي للفتاوى" و"قواعد الإعراب لابن هشام" و "العطاء والفتح في شرح عقيدة ابن دقيق العيد أبي الفتح"، و"نظم نخبة الفكر للإمام ابن حجر العسقلاني" وغيرها. أخذ عنه الطلبة في جامع الأزهر وغيره، وأقرأ فنوناً، واستقر في تدريس التفسير بجامع طولون وفي الفقه والميعاد والخطابة ثلاثتها بالحجازية وفي الفقه والنظر بجامع الفكاهين وفي غير ذلك، وناب في الفقه بالمزهرية وبالمؤيدية وتعانى التجارة وعرف بالفضل والبراعة والعقل والسكون. كتب عنه البقاعي وقال:"أنه في العشرين من عمره صار من نوادر الزمان". ولي قضاء الشافعية بالقاهرة.[47]

5 –عبد الله بن محمد بن أبي القسم بن علي بن فضل الله بن ثامر بالمثلثة بن إبراهيم العكي الفزاري العبسي اليماني الحنفي النجري.(825 هـ –898هـ) ولد في قرية حوث – باليمن – ونشأ بها فقرأ القرآن وبحث على والده في النحو والفقه والأصلين وعلى أخيه علي بن محمد ثم حج في سنة ثمان وأربعين، ثم رحل إلى القاهرة، فبحث بها في النحو والصرف على بن قديد وأبي القسم النويري وفي المعاني والبيان على الشمني وفي المنطق على التقي الحصني وفي علم الوقت على العز عبد العزيز الميقاتي وحضر في الهندسة عند أبي الفضل المشدالي المغربي وكان يطالع ومهما أشكل عليه يراجعه فيه، وتقدم حسبما قال البقاعي في غالب العلوم، واشتهر فضله وامتد صيته لا سيما في العربية[48].

6– علي بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن وجيه بن مخلوف القاهري، يعرف بابن قطب وبالششيني (807– 870 هـ).ولد بالقاهرة ونشأ بها فحفظ القرآن وحفظ الخرقي ثم المحرر وتفقه بالمحب بن نصر الله والنور بن الرزاز المتبولي وبه انتفع والبدر البغدادي والزين الزركشي وعليه سمع صحيح مسلم والتقي بن قندس لقيه بالشام وغيرها وأذن له هو وغيره بالإفتاء والتدريس، وأخذ عن أبي الفضل المشدالي البجائي المغربي في أصول الفقه والعربية، وسمع على الإمام ابن حجر العسقلاني وكتب عنه في الإملاء وكذا سمع على الشرف أبي الفتح المراغي والشهاب الزفتاوي بمكة وسمع بالقاهرة، وحج مرتين الثانية في سنة خمسين وجاور التي بعدها[49].

7 – علي بن برد بك نور الدين القاهري الفخري الحنفي(838 هـ/872 هـ) ولد بالقاهرة وحفظ القرآن والقدوري في الفقه، والكافية في النحو وأخذ الفقه عن الشمني والنحو والصرف عن ابن قديد ولازم التقي الحصني حتى سمع عليه غالب ما قرئ عليه في الأصلين والمنطق والحكمة والجدل والمعاني والبيان والصرف والعروض عن الشهاب الأبشيطي والشمني، وحضر دروس الأمين الأقصرائي والشرواني وحضر دروس أبي الفضل المغربي من الكافية الشافية لابن مالك، وسمع الحديث على جماعة ولازم المشايخ[50].

8- تقي الدين أبو بكر بن عبد الله أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن الزرعي الأصل الدمشقي، ابن ولي الدين المعروف بابن قاضي عجلون الشافعي (ولد سنة 841 هـ كان حيا سنة 896 هـ) العلامة المتقن المحرر الفهامة القدوة الأمة، والرحلة العمدة الإمام الهمام، شيخ مشايخ الإسلام من بيت علم ورياسة وجاه، تفقه على شيوخ بلده فأخذ عنهم التفسير والحديث الشريف، ومن شيوخه أبو الفضل المشدالي المغربي تلقى عنه الفرائض والفقه. قرأ كثيرا، وبرع في الفقه وأصوله، حتى عين في منصب فقيه دمشق والشام، كان بارعاً في العلوم، وأفقه زمانه، وأجل معاصريه وأقرانه، درس بالجامع الأموي والشامية البرانية والعمرية وبالقاهرة دروساً حافلة. انتهت إليه مشيخة الإسلام، ورئاسة الشافعية ببلاد الشام بل وبغيرها من بلاد الإسلام، وحصل له من السعد في العلم والرئاسة وكثرة التلامذة[51].

9- محمد بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز اللخمي السنتراوي الأصل، الإمام العالم دفين مكة المكرمة، دخل القاهرة سنة 837 هـ فقرأ بها على الحافظ ابن حجر العسقلاني، وأبي القاسم النويري، وغيرهما، وأخذ على أبي الفضل المشدالي، سمع عليه العضد، وعنه أخذ في المنطق والهندسة والكلام، وكان فاضلاً خيراً منجمعا غالبا. قال السخاوي:" ونعم الرجل كان" توفي سنة(876 هـ)[52].

10- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن علي برهان الدين بن اليافعي اليماني الأصل المكي الشافعي ويعرف بالبطيني (بالضم لقب لأبيه)، أخذ على البرهاني بن ظهير والزيني خطاب وإمام الكاملية، وأبي الفضل المغربي حين مجاورة الثلاثة في آخرين من أهل مكة والقادمين عليها، وسافر لعدن مرتين ولقي بها محمد أبا الفضل وغيره فأخذ عنهم[53].

11- أحمد بن أحمد بوعصيدة البجائي(ت حوالي سنة 865هـ)، لم يحظ أبو عصيدة بترجمة أو ذكر في كتب الطبقات والتراجم، مع أنها ترجمت لمن هو أقل أثرا وأخمل ذكرا، ولا نعرف شيئا من أخباره إلا ما ذكره هو عن نفسه في "رسالة الغريب إلى الحبيب" التي أرسلها إلى صديقه وشيخه أبي الفضل، أخذ العلم عن شيوخ من عائلة المشدالي منهم محمد أبو القاسم المشدالي-فقيه بجاية ومفتيها- ووالد أبي الفضل غادر بجاية إلى تونس ومصر، ومنها إلى بلاد الحجاز واستقر بها أعواما، ثم عاد فلما وصل إلى تونس جعل يسأل عن أهله وأصدقائه، فكلما سأل عن أحدهم قيل له توفي فضاقت نفسه، ولم يواصل السير إلى بجاية، ورجع إلى الحجاز واستقر بها إلى أن توفاه الله، وقد تعرف على أبي الفضل في بجاية، والتقاه بمصر، وبالحجاز في رحلته الأولى واستفاد منه، فهو صديقه وتلميذه، كما تدل على ذلك رسالته إلى أبي الفضل" رسالة الغريب إلى الحبيب "(54).

12- محمد الديسطي القاهري الأزهري المالكي (حوالي سنة 892 ه) :محمد بن أحمد بن علي الشمس بن الفخر، اشتغل بالفقه والأصلين والعربية والمعاني والبيان وغيرها، وبرع، وأشير إليه بالفضيلة والطلاقة، من شيوخه: الزين عبادة، والشمس الغراقي، وأبو القسم النويري، وأبو الفضل المشدالي المغربي، وسمع على الإمام ابن حجر العسقلاني(55).

13- عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الزين بن العز الدمشقي الحنفي ويعرف بابن العيني. ولد بدمشق سنة سبع وثلاثين وثمانمائة (837هـ)، ونشأ بها فحفظ القرآن، واشتغل بالفقه وأصوله عند حميد الدين، وبكثير من العقليات عند حسين قاضي الجزيرة ويوسف الرومي في آخرين، وقدم القاهرة فأخذ بها عن جماعة منهم أبو الفضل المغربي، ولكنه لم يستكثر من الشيوخ، وتوجه للتدريس والافتاء، وأخذ عنه جماعة من الطلبة، وانتهى الأمر له في قضاء الحنفية بدمشق؛ نال رياسة ووجاهة، مات سنة (893هـ) قال السخاوي:" وبلغنا ذلك وأنا بمكة، فتأسفت على فقده، ونعم الرجل كان رحمه الله وإيانا "(56).

14-محمد بن محمد بن أبي بكر بن خلد البدر السدرشي الأصل القاهري الحنبلي ولد في ثالث شوال سنة ست وثلاثين وثمانمائة (836هـ). مات أبوه وهو ابن ثلاث فنشأ في كفالة أمه وأمها، حفظ القرآن والوجيز وألفية النحو والتلخيص ومعظم جمع الجوامع، وجود في القرآن

علي الزين جعفر السنهوري، وأخذ النحو عن الأيدي والراعي وأبي القسم النويري، وكذا أخذه هو والصرف عن العز عبد السلام البغدادي وقرأ عليه جزءاً من تصانيفه، وقرأ النحو وغيره عن أبي الفضل المغربي، ولازم التقي الحصني في الأصلين والمعاني والبيان والمنطق وغيرها، ولازم الحافظ ابن حجر في كثير من دروس الحديث، والتقى سارة ابنة ابن جماعة بالقاهرة ومصر، ودرس الفقه حتى خضع له شيخ حنابلة الشام والعلاء المرداوي حين راسله يتعقب عليه أشياء وقعت في تصانيفه وأذعن لكونه مخطئاً فيها، والتمس منه المزيد من بيان ما يكون من هذا القبيل، ليحصل له بذلك الأجر والثواب[57].

15- محمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل فتح الدين أبو الفتح بن الشمس السوهائي الأصل القاهري الشافعي يعرف بالسوهائي. ولد سنة (826هـ) بالقاهرة حفظ القرآن والمنهاجين الفرعي والأصلي وألفيتي الحديث والنحو وغيرها، لازم العلم البلقيني في الفقه من سنة إحدى وخمسين وإلى أن مات، وأذن له في التدريس والإفتاء، ولازم التقي الحصني في الأصلين والمنطق والجدل والمعاني والبيان والعربية بحيث كان جل انتفاعه به، وأخذ في المنطق والهندسة وغيرهما عن أبي الفضل المغربي، وسمع على الحافظ ابن حجر والسيد النسابة وغيرهما بالقاهرة. مات سنة خمس وتسعين (895هـ)[58].

16- محمد بن محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن إسحاق البدر بن الولوي السنباطي ثم القاهري المالكي (841هـ-880هـ). ولد ونشأ بالقاهرة. فحفظ القرآن والعمدة والمختصر الفرعي وألفية ابن مالك وعرض على البلقيني والمناوي وابن الديري وابن الأشقر وآخرين، وسمع على والده والشمني والبلقيني وطائفة ومما سمعه ختم البخاري في الظاهرية، وأخذ في العربية عن أبي الفضل المغربي وفي الفقه وغيره عن السنهوري والنور بن التنسي، وناب في القضاء عن بشر الشافعي، بل وبالقاهرة عن السراج بن حريز ثم عن اللقاني. مات بسنباط في عاشر جمادى الثانية سنة ثمانين(880هـ) رحمه الله وإيانا[59].

17- يحيى بن شاكر بن عبد الغني بن شاكر بن ماجد بن عبد الوهاب بن يعقوب الشرف أبو زكريا بن العلم بن الفخر بن العلم الدمياطي الأصل القاهري الشافعي، ويعرف بابن الجيعان. ولد (814هـ) بالقاهرة ونشأ بها وأخذ عن كثير من علمائها، وأكثر من السماع على

الحافظ ابن حجر، وتردد للعز عبد السلام البغدادي، وغالب شيوخ العصر، واستفاد من أبي الفضل المغربي في قدمته الأولى، وحج غير مرة، وسمع بمكة، وكانت له الرغبة التامة في تحصيل الكتب بحيث اجتمع له منها الكثير في كل فن، قل أن تخلو أوقاته عن مطالعة أو مذاكرة أو استفادة أو إفادة. لقبه السخاوي بذي الرياستين قديماً، ولم يزل الفضلاء من أرباب المذاهب والفنون تهرع للقائه. مات (سنة 885هـ)[60].

18-محمد بن أبى بكر بن على بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن إبراهيم البهاء المشهدى القاهرى الأزهرى ولد سنة (811هـ) بالقرب من الأزهر، أخذ عن جماعة كالعراقى والجلال البلقينى وأبى الفضل المغربى وابن حجر، ودرّس بمواضع، وصنف شرحا لمختصر ابن الحاجب الأصلى، وشرحا لجامع المختصرات، وعلق على المنهاج الفرعى، وعمل جزءا في التسلية عن موت الأولاد، وشرحا على البخارى، في مجلدين توفي سنة (889هـ)[61].

آثاره ومؤلفاته:

لم تذكر كتب الطبقات التي ترجمت لشيخ الإسلام أبي الفضل المشدالي إلا تأليفا واحد هو "شرح على جمل الخونجي"* ألفه في شبابه على طريقة حسنة.

قال البقاعي: "أنهى شرح جمل الخونجي قبل استكماله ثماني عشرة سنة على طريقة حسنة، وهي أنه ينظر في شروحها: لابن واصل الحموي، والشريف التلمساني، وسعيد العقباني، وابن الخطِيب القشنبليني، وابن مرزوق؛ فما أجمعوا عليه ساق معناه، وكذا ما زاده أحدهم، وما اختلفوا فيه ذكر ما رأى أنه الحق. كل ذلك بعبارة يبتكرها، ثم تمم ذلك بما وقع للمتقدِّمين من علماء المسلمين فمن قبلهم فِي تلك المسألة مما يرى أنه محتاج إليه من التحقيقات"[62].

كما ترك منظومات شعرية، وديوان شعر في أغراض شتى، وقد أورد أبو عصيدة البجائي في ترجمته لأبي الفضل المشدالي مجموعة من أشعاره[63].

ومن أبرز ما تركه لنا الإمام أبو الفضل المشدالي **قاعدته الشهيرة في علم المناسبة بين آي وسور القرآن**، والتي نقلها عنه البقاعي وجعلها محور تفسيره "نظم الدرر"، بل قال بأنها أحسن ما في كتابه كله، وأنه لم يسمعها منه غيره، ولولا الأمانة والإنصاف لم ينسبها له كما طمع في ذلك

بعض حساد أبي الفضل المشدالي. قال البقاعي:"لو كنت ممن يتشبع بما لم يعط لم أنسبها إليه، فإنها أحسن من كل ما في كتابي، وهي الأصل الذي أبتني كل ذلك عليه. ولقد سألني بعض أكابر المغاربة أن أسقط ذكره ليكتب الكتاب، ويرسل به إلى الغرب، قال: لأن المغاربة لا يقرون للشيخ أبي الفضل بما أصفه أنا به، فلم أجبه إلى ذلك، وامتنع هو عن الكتابة إلا على ذلك الشرط"[64]. وقد أثنى الشوكاني على تفسير البقاعي لإجادته تطبيق هذه القاعدة فقال:" ومن أمعن النظر في كتاب المترجم له – يقصد للبقاعي – في التفسير الذي جعله في المناسبات بين الآي والسور، علم أنه من أوعية العلم، المفرطين في الذكاء الجامعين بين علم المعقول والمنقول، وكثيرا ما يشكل على شيء في الكتاب، فأرجع إلى مطولات التفسير ومختصراتها، فلا أجد ما يشفي. وأرجع إلى هذا الكتاب – أي نظم الدرر –فأجد فيه ما يفيد في الغالب".[65] بعد أن كان الشوكاني ينكر علم المناسبات جدا، فرجع عن خطئه[66]، وأدرك قيمة جهد البقاعي الذي هو حسنة ممن حسنات الإمام أبي الفضل المشدالي كما يلهج بذلك البقاعي ذاته.

وقد أورد البقاعي القاعدة التي أرشده إليها أبو الفضل في "نظم الدرر في تناسق الآيات والسور" عند تفسيره لسورة الفاتحة فقال:" قال شيخنا الإمام المحقق أبو الفضل محمد بن العلامة القدوة أبي عبد الله محمد ابن العلامة القدوة أبي القاسم محمد المشدالي المغربي البجائي المالكي علامة الزمان سقى الله عهده سحائب الرضوان وأسكنه أعلى الجنان: الأمر الكلي المفيد لمعرفة لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من مقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام، واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل، يدفع عناء الاسشتشراف إلى الوقوف عليها؛ فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الرابط بين أجزاء القرآن. وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلا؛ بين كل آية وآية، في كل سورة سورة، والله الهادي "[67].

ثناء العلماء عليه:

حاز شيخ الإسلام أبو الفضل المشدالي على ثناء كثير من علماء عصره، ممن خالطوه وخبروا أمره، وقد مر شيء من هذا الثناء سابقا، وممن أثنوا عليه:

– الإمام البقاعي قال: "الإمام محقق زمان ونادرة الأوان أبا الفضل محمد بن الإمام أبي عبد الله محمد المشدالي البجائي المغربي"[68]. وقال عنه:"الشيخ أبو الفضل المغربي محقق الزمان"[69]. وقال:"وقد حصلت بيننا اجتماعات وصحبة، ورأيت منه من حدة الذهن، وذكاء الخاطر، وصفاء الفكر، وسرعة الإدراك، وقوة الفهم، وسعة الحفظ، وتوقد القريحة، واعتدال المزاج، وسداد الرأي، واستقامة النظر، ووفور العقل، وطلاقة اللسان، وبلاغة القول، ورصانة الجواب، وغزارة العلم، وحلاوة الشكل، وخفة الروح وعذوبة المنطق/ ما لم أره من أحد"[70].

– وقال عنه الإمام ابن شاهين: "هذا الرجل لا ينبغي أن يحضر دروسه إلا حذاق العلماء"[71].

– وقال عنه أستاذه علامة تلمسان بل المغرب كله الإمام المجتهد ابن مرزوق:"ما عرفت العلم حتى قدم علي هذا الشاب [يقصد أبا الفصل المشدالي] فقيل له كيف؟ قال: لأني كنت أقول فيسلم لي كلامي فلما جاء هذا الفتى شرعت أتحرز، وانفتحت لي أبواب المعرفة "[72].

– ووصفه شيخ الإسلام الأمين الأقصرائي الحنفي بـ:" الإمام العلامة خلاصة الزمان والعلماء"[73].

– وقال عنه الشهاب الأبذي:" جعله الله بحرا لعلوم زاخرة، وعنصرا لفضائل فاخرة، ومحاسن متوالية...فدانت له المملكة المصرية والأقطار الشامية، والبلاد القاصية والدانية، فحاز الرياستين، وقام بالوظيفتين، فالرؤساء حول دياره مخيمون، وعظماء المذهب بفناء منزله محومون، فالوصف يقصر عما هو فيه"[74].

– وقال عنه ابن أبي عذيبة:"الإمام العلامة أوحد أهل زمانه قدم علينا القدس...وشهد له الأئمة ببلدنا وبدمشق ومصر وطرابلس أنه أوحد أهل الأرض وأنه عديم النظير في جنس بني آدم. وأنني عاجز الآن عن عبارة أصفه بها فإن كل عبارة هو فوقها... ولا يحضرني الآن من يضاهيه في كثرة علومه". ونقل عن العز القدسي أنه قال:"ولو سكتوا أثنت عليه الحقائب" وعن ابن الهمام أنه قال:" سألته عن مسئلة في أواخر الأصول فأجابني عنها بأجوبة من لو طالع عليها ثلاثة أشهر لم يجب فيها بمثله"[75].

– وقال عنه تلميذه الإمام الفقيه الرحالة القلصادي في رحلته: "لم أر مثله في تحصيل العلوم وتحقيقها، آخذ في كل علم بأوفر نصيب، وضارب فيه بسهم مصيب"(76).

– أما بلديه الرحالة أبو عصيدة البجائي فقد خصه بترجمة في رسالته: "رسالة الغريب إلى الحبيب" وحلاه فيها بـ: "الشيخ الإمام، سيد فقهاء الإسلام، ذي المفاخر العلمية، والغرائب الحكيمة، والمحاسن الجليلة الأدبية، والنكت الرائقة الزكية، السيد الفقيه الجليل، الخطيب الرحلة الشهير الحسب شيخ شيوخ الإسلام، الولي الصالح سيدي ومولاي أبو عبد الله محمد المشدالي ابن السادات الأئمة العلماء" ومدحه بقصيدة منها هذه الأبيات:

بحـــار علـــوم زاخـــر متوفـــر عليـــم وفي شـــانيه جهـــل مركـــب
عجائـــب مـــا قـــد حازهـــا مـــتعمم فحقـــق و دع قـــول الـــذي يتعصـــب
مسدد آراء جلا كل شبهة مفتح أبواب لمن جاء يطلب(77).

ولأبي عصيدة كتاب في الأدب والتصوف عنوانه (أنس الغريب وروض الأديب). ذكر أنه ترجم فيه لأبي الفضل المشدالي طويلا: "وذكر أنه اطلع علماء الحجاز على هذا التأليف، وتناقش معهم حول أفضلية المشدالي على سائر علماء عصره(78).

– وقال عنه عصريه المؤرخ عبد الباسط الظاهري الحنفي(ت873): " العلامة أبو الفضل المغربي...كان عالما فاضلا بارعا في الفنون، له صيت وسمعة، وشهرة طائلة"(79).

– وقال عن عصريه المؤرخ أبو المحاسن ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (ت874هـ): " وكان إماما في المعقول والمنقول، وشهرته القوية بالأول، كان إماما في النحو والمنطق وعلم المعاني والبيان والأصلين والطب والحكمة، وعلوم الأوائل، وكان إذا حقق مسألة فقهية كان إلى كلامه المنتهى، وبالجملة: إنه كان نادرة من النوادر رحمه الله"(80).

حسد المعاصرين لأبي الفضل المشدالي :

لئن حاز أبو الفضل ثناء عطرا من كثير من العلماء، ممن كانوا شيوخا له، أو تتلمذوا على يديه، أو عاصروه، فشهدوا شهادة حق عن معاينة، لا عن خبر– وليس الخبر كالمعاينة– إلا أن مترجمنا لم يعدم حسّدا ومناوئين، ممن حاولوا جحد فضله، وطمس فضائله، حتى نقل

السخاوي عن بعضهم أنه لا يحسن قراءة الفاتحة، وعن بعضهم أنه لا عهد له بالفقه، وعن آخر أنه تكلم مع أبي الفضل في مسائل أم الولد والمدبر فلم يهتد لكثير من مسائلها[81].لقد صدق أبو عصيدة لما قال:" وفي شانيه [مبغضيه والشانئ: المبغض] جهل مركب، فدع قول الذي يتعصب " كما مر. إن هذه التهم من السذاجة بمكان، وهي أوهى من بيت العنكبوت؛ إذ كيف يتهم رجل حفظ القرآن قبل أن يبلغ ثمان سنوات، وقرأ بالسبع على أبيه والإمام الولي أبي عبد الله محمد بن أبي رفاع، وأتقن قراءة نافع على الشيخين هارون المجاهد وأبي عثمان سعيد العيسوي وغيرهما، وحفظ الشاطبيتين، أنه لا يحسن قراءة الفاتحة؟؟!! هذا عجيب وبعيد غريب، لا يصدر إلا عن حقود حسود.

وكيف يقال عن رجل أخذ الفقه عن كبار فقهاء عصره المجتهدين؛ كأبيه فقيه ومفتي بجاية، وابن مرزوق كبير فقهاء تلمسان بل بلاد المغرب والأندلس، وغيرهما من الفقهاء أنه لا عهد له بالفقه، ويدحض هذه الفرية قول الحافظ السيوطي في وصفه:"أبان عن تفنن في العلوم: فقها وأصولا وكلاما ونحوا وغير ذلك"[82]. بل نقل أبو عصيدة عن الفقيه أحمد الليدي بأنه:" أفقه من أبيه"[83]. وأبوه " أبو القاسم المشدالي" يشار إليه بالاجتهاد، ويعزز هذا أن البسطي في "المعجم المفنن" لما أراد أن يعرف بأبي القاسم المشدالي والد مترجمنا قال:" هو محمد والد العلامة أبو الفضل المالكي" [84].فعَرَّف الأب بابنه، وليس هذا إلا لنبوغ الابن وشهرته. بل قال عنه عصريه المؤرخ ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة:" وكان إذا حقق مسألة فقهية فإلى كلامه المنتهى"[85].

وهل يجب على العالم الإحاطة بجميع مسائل الفقه؟ لم يقل بهذا أحد. ثم هل جهل العالم والفقيه بحكم مسألة أو مسألتين تجعلنا نحكم عليه بأنه لا عهد له بالفقه؟ فكيف نحكم إذن على الإمام مالك رحمه الله الذي سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا أدري؟؟ بل قال ابن أبي حسان: سئل مالك عن اثنين وعشرين مسألة بحضرتي فما أجاب إلا في اثنتين بعد أن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وكم توقف الإمام الشافعي وأبو حنيفة، بل الصحابة في مسائل كثيرة[86].

وممن كان منحرفا عن شيخ الإسلام أبي الفضل المشدالي الحافظ السخاوي فقد أورد في

"الضوء اللامع" نقولا مضطربة، ومتناقضة، فيها حط من شيخ الإسلام، ولمز في علمه، وديانته وأخلاقه، كقوله:" وكان خُروجه من بلاده مغاضبا لأبيه وبغير رضاه"[87]. والبقاعي لم يذكر هذا العقوق؟؟!!، وكل الذي أورده عند ذكر خبر وفاة أخيه محمد قوله:" كان أبوه أرسله ليحج، ويحضر أخاه الشيخ أبا الفضل معه، وكان الشيخ أبو الفضل غير عازم على الرجوع، ففجع أبوهما بهما معا؛ هذا بالموت والشيخ أبي الفضل بالرضا بالغربة"[88]. ووصفه عند الترجمة لشقيقه محمد بالتخليط قال:"مع اشتراكهما في التخليط"[89]. وسبب ذلك هو العداوة المستحكمة بينه وبين الإمام البقاعي الذي كان كثير الذكر والثناء والإشادة بشيخه، وقد تنبه إلى هذا الإمام الشوكاني فقال:"وقد رام السخاوى رحمه الله مناقضة البقاعى فيما وصف به صاحب الترجمة- يقصد المشدالي - ولعل الحامل له على ذلك ما بينه وبين البقاعى من العداوة كما تقدم"[90]. وقال عن مطاعن السخاوي في علماء عصره:"والسّخاوي رحمه الله وإن كان إماماً غير مدفوع، لكنه كثير التّحامل على أكابر أقرانه، كما يَعْرِف ذلك من طالع كتابه "الضوء اللامع"، فإنه لا يقيم لهم وزنا؛ بل لا يسلم غالبهم من الحطِّ منه عليه، وإنما يُعظِّم شيوخه وتلامذته ومن لم يعرفه، ممن مات في أول القرن التاسع قبل موته، أو من كان من غير مِصْره، أو يرجو خيره أو يخاف شره"[91]. وقال صاحب المختار المصون :" وسياق الترجمة التي أوردها السخاوي فيها تناقض كبير... والسخاوي لا يصلح أن يكون مرجحا في هذا، لأنه معروف بالتحامل على كثير من علماء عصره"[92]. وقد أشار الإمام البقاعي إلى حسد كثير من المغاربة والمصريين لشيخ الإسلام أبي الفضل في العديد من المواطن من مصنفاته منها:

- ما جاء في تاريخه " إظهار العصر" قال:" وكان قد رأى في مصر نكايات من جحد فضله، وتقدم من لا يفهم عليه، لا بلدة لو رأو فيها الشافعي ما وقروه، إلا إن كان له جاه ومنزلة من السلطان، وملوكهم لا يفهمون شيئا، فهم لا يعرفون لعالم مقداره إلا إن رفعه أحد من أمرائهم، أو مباشريهم لعلة، ومن العجب أن الشيخ الإمام العلامة نجم الدين محمد بن قاضي عجلون الدمشقي أحد تلاميذ الشيخ أبي الفضل أخبرني أنه سمعه كثيرا ما ينشد متمثلا بقول امرئ القيس:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقـــــن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت لـــــه لا تبك ويحـك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا.

قال:"وكان إذا أنشدهما يهتز لهما ويظهر عليه أنه يريد محاولة أمر عظيم لا يصده عنه إلا الموت، فسبحان الفعال لما يريد الذي قضى بأن يموت بعينتاب بعد نشأته ببجاية من بلاد المغرب"(93).

– ما جاء في تفسيره "مصاعد النظر" حيث قال:" وكتابي هذا قد نوهت فيه بالنقل عن جماعة، ما عرفهم المصريون إلا مني، منهم الأستاذ أبو الحسن الحرالي، والقاعدة التي افتتحت بها كتابي عن الشيخ أبي الفضل المغربي رحمه الله لم يسمعها منه غيري. لو كنت ممن يتشبع بما لم يعط لم أنسبها إليه، فإنها أحسن من كل ما في كتابي، وهي الأصل الذي أبتني كل ذلك عليه. ولقد سألني بعض أكابر المغاربة أن أسقط ذكره ليكتب الكتاب، ويرسل به إلى الغرب، قال: لأن المغاربة لا يقرون للشيخ أبي الفضل بما أصفه أنا به، فلم أجبه إلى ذلك، وامتنع هو عن الكتابة إلا على ذلك الشرط. فعلمت أن ذلك حسد منهم للشيخ أبي الفضل رحمه الله على تقدير صحته، لأن كل بلد يحسدون من بزهم منهم سبقا وعلاهم فوقا، وأعلاهم فضلا، وأعزهم فصاحة ونبلا: ﴿**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**﴾ [النساء 45] إنا لله وإنا إليه راجعون على أن أكثر المصريين كانو يحسدونه رحمه الله، ووالله ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل رأي نفسه. فلا يعتب علي أحد في هذا الكلام، فإنه نفثة مصدور، ورمية مغدور، شغله الذباب عن كثير من مقاصده، ونفر عنه الذباب كثيرا من مصايده، ولقد منع كثيرا من العلماء عن إظهار محاسن أعمالهم، ومعالي أقوالهم وأفعالهم"(94).

وفاته:

توفي رحمه الله في مدينة عينتاب سنة (864هـ) وهو في الأربعينات من عمره. قال البقاعي:" جاء الخبر المشؤوم أن الإمام محقق زمان ونادرة الأوان أبا الفضل محمد بن الإمام أبي عبد الله محمد المشدالي البجائي المغربي مات في مدينة عينتاب، فلعله مات في أوائل هذا الشهر(أي محرم) أو أواخر ذي الحجة سنة أربع وستين[وثمانمائة] (864هـ)ثم غلب على الظن أنه مات قبل ذلك في أواخر شوال أو أوائل ذي القعدة، ثم أخبرني فتاه فرج أنه مرض في أواخر رمضان واستمر نحو جمعة مريضا ومات، فكان في أوائل شوال سنة أربع[أي: 864هـ] رحمه الله وآجرنا في مصيبته وأعقبنا منها عقبى حسنة"(95). وقال:" رحمه الله وآجرنا

في مصيبتنا وأخلفنا خيرا منها، فلقد فقد الناس عالما قل أن سمح الزمان بمثله، ودفن في الأرض من بحور العلم والعقل، وبعد الغور، ونافذ الفكر، وصائب الرأي، وصادق الظن، ما لو تجسد لم تسعه، هذا مع حسن الشاكلة، وخفة الروح، ولطافة المحادثة، وأنس المجالسة، وحلاوة النادرة، وجزالة النظم، وفصاحة اللسان، وبلاغة القول، وجلالة المعاني في كل ما يتوجه إليه، إلى غير ذلك من أمور يعجز البليغ وصفها ويعييه كشفها وإيضاحها. وكان موته عن نيف وأربعين سنة أكثرها أسفار وبعد عن القرار...ثم إنه مات غريبا وحيدا كسيرا فريدا، فسح الله له في قبره ما بينه وبين مولده آمين"(96).

- هوامش البحث:

(1) نظم العقيان في أعيان الأعيان، الحافظ السيوطي 1/ 160، البدر الطالع، الشوكاني2/248، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، بدر الدين يحي بن عمر القرافي ص 205

(2) مصاعد النظر،البقاعي1/138، البدر الطالع، الشوكاني 2/248 وانظر رحلة القلصادي، لأبي الحسن القلصادي الأندلسي ص127قال:"لم أر مثله في تحصيل العلوم وتحقيقها".

(3) عنوان العنوان، البقاعي ص305، المجمع المفنن، عبد الباسط بن خليل الملطي ص205.

(4) بغية الوعاة في طبقات النحاة، السيوطي 2/247.

(5) الضوء اللامع، السخاوي9/180 نظم العقيان، السيوطي ص 160. نظم الدرر، البقاعي 1/18، معجم المؤلفين، 11/260.

(6) الضوء اللامع9/180 نيل الأمل في ذيل الدول، عبد الباسط الظاهري الحنفي6/129،نظم العقيان، السيوطي 160، البدر الطالع، الشوكاني 2/246.

(7) إظهار العصر، البقاعي 3/103، رحلة عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس، ص39، الضوء اللامع9/188، نيل الابتهاج 541، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في المنهاج، التنبكتي ص180، وفيات الونشريسي ص 99، معجم أعلام الجزائر302.اصطلاح المذهب عند المالكية، د/محمد إبراهيم أحمد علي ص476-477.

(8) الضوء اللامع 8/290 المجمع المفنن 205، نيل الابتهاج 542.الإعلام، الزركلي 5/7.

(9) مقدمة ابن خلدون ص470،نيل الابتهاج 610 عنوان الدراية 229/230، معجم أعلام الجزائر302/303.

(10) نفح الطيب5/223، نيل الابتهاج، 350-352 تعريف الخلف برجال السلف73-74وانظر ماذكره محقق الدراية الأستاذ عادل نويهض في الهامش رقم(1) ص229.

(11) المراد بالشاطبيتين القصيدتان اللتان ألفهما الإمام المقرئ الضرير القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي الرعيني الأندلسي(ت590هـ) وهما: القصيدة اللامية، المسمّاة بـ"حرز الأماني ووجه التهاني"، وعدد أبياتها ألف ومائة وثلاث وسبعون بيتا(1173)،والقصيدة الرائية، المسمّاة بـ" عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد") في القراءات. سير أعلام النبلاء21/261، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، 4/71 معجم المؤلفين 8/11.

(12) الضوء اللامع9/180-181، البدر الطالع2/248.

(13) الضوء اللامع9/ 181، نيل الابتهاج ص541، البدر الطالع2/ 247، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، بدر الدين القرافي ص 204.

(14) الضوء اللامع 9/ 182.

(15) المصدر نفسه 9/ 182.

(16) المصدر نفسه9/ 182.

(17) المصدر نفسه9/ 182.

(18) الضوء اللامع9/ 182، البدر الطالع 2/ 247.

(19) الضوء اللامع9/ 182، البدر الطالع 2/ 247.

(20) الضوء اللامع9/ 182.

(21) البدر الطالع2/ 247.

(22) جنويين: نسبة إلى مدينة جنوة القديمة التي تقع شمال غرب إيطاليا، والتي لعبت دورا هاما في الحروب الصليبية. انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحِميري ص173

(23) الضوء اللامع 9/ 182،البدر الطالع 2/ 247، معجم أعلام الجزائر302، المختار المصون من أعلام القرون، محمد بن حسن بن عقيل موسى 542.

والماغوصة واللمسون مدينتان في شمالي قبرص فتحتا في شعبان سنة 829ه انظر: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشمس الدين الأنصاري الدمشقي، ص 118. ونيل الأمل في ذيل الدول، عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري 4/ 198، وأطلس تاريخ الإسلام، حسين مؤنس ص272. وأعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، الدكتور عبد الرحمن حميدة ص601.

(24) الضوء اللامع 9/ 183 نظم العقيان، السيوطي ص160، البدر الطالع2/ 248. رسالة الغريب إلى الحبيب ص31.

(25) نظم العقيان ص150، الإعلام، الزركلي 2/ 66.

(26) الضوء اللامع 2/ 295، وانظر 3/ 187، 3/ 244، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي العليمي2/ 186.

(27) الضوء اللامع9/ 183، 186.

(28) المصدر نفسه 9/ 186، شذرات الذهب، ابن العماد 8/ 331.

(29) الضوء اللامع 5/ 211.

(30) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي، 1/ 300.

(31) رسالة الغريب إلى الحبيب، أحمد أبو عصيدة البجائي ص42.

(32) المصدر نفسه ص55.

(33) نفسه ص60،61.

(34) الضوء اللامع9/ 183.

(35) نفسه 9/ 183،184.

(36) القبة المنصورية أقامها السلطان قالون [تولى الحكم في (رجب 678هـ) وهو سابع سلاطين الدولة المملوكية، وتلقب بالملك المنصور، وأجمع المؤخرون على وصفه بأطيب الصفات وأنبلها، قالوا: كان حليمًا عفيفًا في سفك

الدماء، مقتصدًا في العقاب، كارهًا للأذى] لتكون مدفنًا له مقتصرة على هذا الغرض، بل جعل منها مدرسة ومسجدًا، ورتب بها خمسين مقرئًا يقرءون القرآن ليلاً ونهارًا، وخصص لها إمامًا للصلاة، وعالمًا لتفسير القرآن للطلاب الذين يؤمون القبة، وجعل بها خزانة للكتب، وخازنًا يقوم بأمرها. قال المقريزي في الخطط: "وفي هذه القبة دروس للفقهاء على المذاهب الأربعة، وتُعرف بدروس وقف الصالح،... وكان لا يلي تدريس درسه إلا قضاة القضاة وبهذه القبة خزانة جليلة كان فيها عدّة أحمال من الكتب في أنواع العلوم، مما وقفه الملك المنصور وغيره" المواعظ والاعتبار، المقريزي 227/4. وانظر: حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ابن تغري بردي حوادث سنة 854هـ.

(37) الضوء اللامع 186/9.

(38) نفسه 184/9. و187/9.

(39) إضهار العصر لأسرار أهل العصر (تاريخ البقاعي) 176/3

(40) المصدر نفسه 178/3 وكذلك ذكر غيره من المؤرخين، كابن خلدون والسخاوي.

(41) الضوء اللامع 183/9.

(42) بغية الوعاة، السيوطي 247/2.

(43) عنوان الزمان للبقاعي، مقدمة المحقق الدكتور حسن حبشي 9/1وما بعدها، إضهار العصر لأسرار أهل العصر (تاريخ البقاعي) 22/1وما بعدها. وانظر الألقاب التي أطلقها البقاعي على شيخه في 156،407،424/1، 175/75،3/2وما بعدها 104/3، 9/3 البدرالطالع 19/1-22 الإعلام، الزركلي 56/1-57.

(44) عنوان الزمان، البقاعي 100/4، 101 الضوء اللامع 15/9.

(45) الضوء اللامع 14/9-15 وانظر ترجمة موسعة له في مقدمة أبي الأجفان في تحقيق كتابه رحلة القلصادي ص30 -50 و ص127.

(46) عنوان الزمان، البقاعي 57/2 الضوء اللامع 42/1 وما بعدها، شذرات الذهب، ابن العماد 331/8،الإعلام، الزركلي 52/1.

(47) عنوان الزمان، البقاعي 87،89/2 الضوء اللامع 134/1وما بعدها. البدر الطالع 26،27/1.

(48) البدر الطالع 1/ 397،399، معجم المؤلفين 137/6.

(49) الضوء اللامع 187،188/5.

(50) عنوان الزمان، 30/4 الضوء اللامع 196،197/5.

(51) نظم العقيان ص150، الإعلام، الزركلي 66/2.

(52) الضوء اللامع 8/9.

(53) الضوء 123/1.

(54) رسالة الغريب إلى الحبيب، مقدمه المعتني الدكتور أبو القاسم سعد الله ص18 وما بعدها.

(55) الضوء اللامع 22/7. ط: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

(56) الضوء اللامع 71/4، 72.

(57) الضوء اللامع 58/9.

(58) الضوء 204,205/9.

(59) الضوء اللامع 229/9.

(60) الضوء اللامع 226/10 وما بعدها.

(61) البدر الطالع149/2.

* صاحب الجمل هو عبد الرحمن بن إسحاق أبو القاسم الناهوندي من أهالي الصيمرة في خوزستان كان إماما في النحو، حظي كتابه الجمل بشهرة قلما حظي بها كتاب آخر، وجعل العلماء يضعون عليه الشروح والتعليقات. حتى وضع له في المغرب مائة وعشرون شرحا. بغية الوعاة 77/2 الإعلام 299/3 معجم المؤلفين 124/5. وقد رام السخاوى مناقضة البقاعي، واللمز من علم المشدالي لمجرد الاعتراض والمناقضة فقط حيث قال:" وسمعت البقاعي يقول غير مرة أنه لم يكن ينظر في دروسه التفسيرية في غير القرآن، وأنه يستلقي على قفاه ويتأمل، فيأتي بصواعق لا ينهض غيره لها. وأنه كان يفعل ذلك في كل علم يقرؤه أو يقرئه، لا يزيد على نظر المتن. وحكى عن علي البسطي ذلك فقال: كان أبو الفضل إذا قرأ علماً لا يقرأه غيره، ولا يزيد على تكرير مطالعة المتن، ولا يطالع شرحاً ولا غيره، وناقض البقاعي قوله ونقله حيث قال: أنهى شرح جمل الخونجي قبل استكماله ثماني عشرة سنة على طريقة حسنة، وهي أنه ينظر في شروحها لابن واصل الحموي والشريف التلمساني وسعيد العقباني وابن الخطيب القشنبليني وابن مرزوق فما أجمعوا عليه ساق معناه وكذا ما زاده أحدهم..." الضوء اللامع 186,185/9 ولا مناقضة في هذا البتة، فكتاب شرح الجمل للخونجي كتبه شيخ الإسلام المشدالي في بداية مشواره العلمي، والبقاعي يتحدث عن المنهج العلمي للمشدالي في التفسير وغير ذلك بعد اشتد عوده ونضج فكره، فكان لا ينظر إلا في القرآن، أو في المتن الذي يريد أن يشرحه، فيأتي بالصواعق كما قال. أو أنه كان يسأل في الأصول وغير ذلك، فيجيب على السليقة بأجوبة من لو طالع عليها ثلاثة أشهر لم يجب فيها بمثله كما قال ابن الهمام الضوء اللامع 186/9.

(62) الضوء اللامع 186/9.

(63) انظر:رسالة الغريب، الضوء اللامع 188/9.

(64) نظم الدرر 17/1، 18، مصاعد النظر 138/1،137.

(65) البدر الطالع 20/1.

(66) قال الشوكاني منكرا علم المناسبة وهو يفسر قوله تعالى:" يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم..." الآية 40 و41 من سورة البقرة:" اعلم أن كثيرا من المفسرين جاءوا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه، في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه. وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلفات وتعسفات، يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء، فضلا عن كلام الرب سبحانه. حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدمه.... و هل هذا إلا من فتح أبواب الشك، وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض، أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور. فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع آي القرآن، ويفردون ذلك بالتصنيف، تقرر عنده أن هذا أمر لا بد منه، وأنه لا يكون القرآن بليغا معجزا إلا إذا ظهر الوجه المقتضي للمناسبة، وتبين الأمر الموجب للارتباط. فإن وجد الاختلاف بين الآيات، فرجع إلى ما قاله المتكلمون في ذلك فوجده تكلفا محضا وتعسفا بينا انقدح في قلبه ما كان عنه في عافية وسلامة ". فتح القدير 73/1، 74. ثم ترى الشوكاني ربط بين سورة الحج والأنبياء ثم بين الفيل وقريش وربط بين قصة وأخرى، وهذه هي المناسبات التي رفضها بعينها ووصفها بالمتكلفة، وقد فعل ذلك لأنه اكتشف قيمة علم المناسبة، وكثيرا ما كان علماؤنا يرجعون

عن أقوالهم إذا تبين لهم أن الحق في غير ما قرروه أولا. وانظر بحث الدكتور أحمد بن محمد الشرقاوي سالم حول موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات. وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي (ت 543هـ) في كتابه (سراج المريدين): "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسعة المعاني، منتظمة المباني؛ علم عظيم "انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور1/114.

(67) نظم الدرر في تناسب السور 1/18،17.

(68) إظهار العصر 3/175.

(69) المصدر نفسه 1/424.

(70) الضوء اللامع 9/180.

(71) الضوء اللامع للسخاوي 9/182.

(72) المرجع نفسه 9/182.

(73) نيل الأمل في ذيل الدول، المؤرخ زين الدين عبد الباسط الظاهري 6/328. الضوء 9/185.

(74) الضوء اللامع 9/185.[الشهاب الأبذي: أحمد بن محمد البجائي الأبذي من أهل أبذة، تعلم في بجاية ثم انتقل إلى القاهرة فدرس بالأزهر وغيره، له " الحدود النحوية"و" بيان كشف الألفاظ التي لا بد للفقيه من معرفتها" توفي سنة 860ه]الأعلام 1/229.

(75) الضوء اللامع9/186.[ابن أبي عذيبة (819 – 856 هـ) أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين: فاضل ممن عني بالتاريخ. عاب عليه السخاوي أنه كان يذكر مساوئ الناس. قرأ القرآن واشتغل بالعلم وكان من الفقهاء بالمدرسة الصلاحية واعتنى بعلم التاريخ وكتب تاريخين أحدهما مطولا، والآخر مختصرا، وهو مرتب على حروف المعجم. ولم يظهر تاريخه الكبير بعد وفاته. قيل: بأنه لما توفي اطلع بعض الناس عليه فوجد فيه أشياء فاحشة من ثلب أعراض الناس، فأعدمه فلم يوجد إلا بعض كراريس متفرقة من التاريخ المختصر] الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل 2/184 الأعلام 1/229،228.

(76) رحلة القلصادي صفحة 127.

(77) رسالة الغريب إلى الحبيب أبو عصيدة البجائي، ص 22. وانظر:تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله 1/86

(78) تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله 1/87،86.

(79) نيل الأمل في ذيل الدول، زين الدين عبد الباسط الظاهري الحنفي 6/129.

(80) النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي 16/278.

(81) راجع الضوء اللامع 9/186وما بعدها.

(82) بغية الوعاة 2/247.

(83) رسالة الغريب ص96،95.

(84) المعجم المغنن للبسطي ص205.

(85) النجوم الزاهرة 16/278.

(86) انظر ما ذكره القاضي عياض في تثبت الإمام مالك وتحريه في الفتوى في ترتيب المدارك 1/ 180 وما بعدها، الديباج، ابن فرحون1/112، أصول الفقه الإسلامي الزحيلي2/1076. ونقل القاضي عياض عن ابن وهب قال:" سألت مالكا في ثلاثين ألف مسألة، فقال في ثلثها أو في شطرها أو ما شاء الله منها: لا أحسن ولا

أدري"1/183.

(87) الضوء اللامع 9/186.

(88) إظهار العصر2/75.

(89) الضوء اللامع 9/188.

(90) البدر الطالع للشوكاني2/247-249.

(91) البدر الطالع، ج 1/333-334.

(92) المختار المصون 1/546.

(93) إظهار العصر 3/179،178. وفي 3/ 104 ذكر البيت الثاني على النحو التالي: فقلت له: لا بتك عيناك إنما... وعلى هذا أثبته صاحب الأغاني 18/148. وصاحب خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي. 4/377.

(94) مصاعد النظر 1/137-138.

(95) إظهار العصر3/175.

(96) إظهار العصر 3/103. نيل الأمل في ذيل الدول، عبد الباسط الظاهري6/129.

المصادر و المراجع:

1- اصطلاح المذهب عند المالكية، د/محمد إبراهيم أحمد علي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط:1- 1421ه-2000م.

2 - أصول الفقه الإسلامي، الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر، سوريا إصدار: 1996م/1416ه.

3- إظهار العصر لأسرار أهل العصر (تاريخ البقاعي) تحقيق الدكتور محمد سالم بن شديد العوفي ط:1، 1412ه/1992م عربية للطباعة والنشر.

4- أطلس تاريخ الإسلام، حسين مؤنس، طبع الزهراء للإعلام، القاهرة، ط: 1/1987م 1407ه. 5- أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، الدكتور عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، 1416ه /1995م.

6- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين تأليف خير الدين الزركلي الجزء الأول دار العلم للملايين، بيروت.

7- الأغاني أبو الفرج الأصفهاني، ط: 2، دار الفكر - بيروت.

8- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل مجير الدين الحنبلي العليمي، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس، عمان 1420ه/ 1999م.

9- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني(ت 1250ه) مطبعة السعادة القاهرة 1348ه ط:.1

10- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، اعتنى بمراجعة أصله الشيخ محمد بن أبي شنب، طبع في المطبعة الثعالبية سنة 1908م.

11- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:1، 1384ه/ 1964م، طبعة عيس الحلبي، القاهرة.

12- تاريخ ابن خلدون المسمي العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيم العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السطان الأكبر، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي التونسي المالكي(ت808هـ) دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ.
13- تاريخ الجزائر الثقافي، الدكتور أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط:1 /1998م.
14- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، ط:1، 1420ه/ 2000م.
15- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض طبعة المملكة المغربية ط:1403،2ه، 1983م،
16- تعريف الخلف برجال السلف، أبي القاسم محمد الحفناوي بن أبي القاسم الديسي، طبع بمطبعة بيبر فونتانة الشرقية بالجزائر 1324ه/1906م
17- توشيح الديباج وحلية الابتهاج، بدر الدين يحي بن عمر القرافي، تحقيق الدكتور علي عمر، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة- ط:1 1425ه/2005م.
18- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: 874هـ) تحقيق :د/ محمد كمال الدين عز الدين الناشر :عالم الكتب الطبعة :الأولى، 1410هـ - 1990م.
19- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب عبد القادر بن عمر البغدادي(ت1093هـ) تحقيق محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية بيروت 1998م.
20-درة الحجال في أسماء الرجال، لأبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي تحقيق / محمد الأحمدي أبو النور مطبوع سنة 1390هـ دار التراث القاهرة، المكتبة العتيقة تونس. 21-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني ت852ه، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
22-الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون برهان الدين ت 799هـ، مطبعة المدينة، دار السلام،دار التراث للطباعة، القاهرة.
23- رحلة القلصادي، لأبي الحسن علي القلصادي الأندلسي(ت891هـ) دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان الشركة التونسية للتوزيع 1978م
24- رحلة عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء خليل بن شاهين الملطي الظاهري الحنفي تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الجامعة اللبنانية طرابلس.
25 - رسالة الغريب إلى الحبيب، أحمد أبو عصيدة البجائي تعريف وتعليق وتلخيص أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط: 1/1993م.
26 - الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحِميري تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، طبع على مطابع دار السراج ط:2 / 1980 م.
27 - سير أعلام النبلاء، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى 748 ه أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه الشيخ شعيب الارنؤوط طبع مؤسسة الرسالة ط: 9، 1413 ه/ 1993 م بيروت، لبنان.
28- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تأليف محمد بن محمد مخلوف، المطبعة السلفية، القاهرة 1439هـ.

29- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي ابن العماد الحنبلي (1032هـ/1089هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
30- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: 902هـ) منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.
31- عنوان العنوان، أو المعجم الصغير، إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق الدكتور حسن حبشي، ط:2 مطبعة دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، 1431هـ/2010م.
32- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، أبو العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت714هـ) حققه عادل نويهض، منشورات دا الآفاق الجديدة، بيروت. ط:2 /1979م.
33- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، إدارة المعارف بالرباط، 1345هـ.
34- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، طبعة بدون تاريخ.
35- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في المنهاج، أحمد بابا التنبكتي، تحقيق: محمد مطيع، طبعة المملكة المغربية، 2000م/1421هـ.
36- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1987م-1418هـ.
37- المجمع المفنن بالمعجم المعنون، عبد الباسط بن خليل الملطي الحنفي، تحقيق عبد الله محمد الكندري، دار البشائر، بيروت، لبنان، ط:1 - 1432هـ/ 2010م.
38- المختار المصون من أعلام القرون، محمد بن حسن بن عقيل موسى، دار الأندلس الخضراء، جدة.
39- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور،الحافظ المفسر المؤرخ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي، تحقيق الدكتور عبد السميع محمد أحمد حسنين دار المعارف- الرياض ط:1- 1408هـ/1987م.
40- معجم أعلام الجزائر - من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر المؤلف :عادل نويهض الناشر :مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت- لبنان، ط:2، 1400 هـ - 1980 م.
41- مقدمة ابن خلدون، اعتناء أحمد الزعبي، دار الأرقم، بيروت - لبنان.
42- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي ت 845هـ الناشر :دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة:1، 1418 هـ.
43- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق : إحسان عباس: دار صادر – بيروت 1.
44- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين بن أبي المحاسن بن يوسف بن تغري بردي الأتاباكي ت876هـ قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ط:1، 1413هـ/1992م.
45 - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشمس الدين الأنصاري الدمشقي، قام بطبعه فرين وهو أحد أعضاء الأكاديمية الإمبراطورية بطربورغ واعتنى به وصححه أغشطس بن يحيى المدعوّ مَهْرَنْ، قوبنهاغ، طبع في المطبعة الأكاديمية الإمبراطوريّة في بطربورغ 1865م 1281 هـ.

46-نفح الطيب، المقري من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني تحقيق د. إحسان عباس، الناشر دار صادر، طبع سنة 1388هـ،بيروت.
47- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة. صححه محمد حبيب الله الرشيد القادري، صدر المصححين بدائرة المعارف العثمانية، وآخرين.
48- نظم العقيان في أعيان الأعيان، السيوطي، تحقيق فيليب حتى 1927 نشر المكتبة العلمية بيروت.
49-نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي (ت963-1036هـ) منشورات كلية الدعوة الإسلامية-طرابلس ليبيا، ط:1-1989م.
50- نيل الأمل في ذيل الدول، المؤرخ زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري الحنفي(844-920هـ) تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية صيدا بيروت ط:1/2002م-1422هـ.
51- وفيات الونشريسى أحمد بن يحيى الونشريسي التلمساني، أبو العباس المالكي المتوفى:سنة 914هـ المحقق: محمد بن يوسف القاضي، الناشر: شركة نوابغ الفكر للنشر والتوزيع والتصدير، ط:1/2009م.
52- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق : إحسان عباس: دار صادر – بيروت.

oooooooooooooooooooooooooooooo

Abou El-Fadl Mohammed bin Muhammad Al-Michdali

By: **dr. Noureddine Meddah**

Bouira university

Abstract

This research is a biography of one of the eminent scientists of MiChdallah, (located in the east of the city of Bouira) who traveled to several capitals of the Islamic world dedicating his mission to education and teaching. This has brought him recognition and respect from well-known scientists at point to naming him as "eminent scholar of Islam". He is the prominent Imam Abou El-Fadl Mohammed bin Muhammad bin Abu al-Qasim bin Mohammed bin Abdul Samad bin Hassan bin Abdul Mohsen Al-Michdali Al-bijai Al-Maghrabi Al-Maliki (864 H). Hi was a phenomenon in his time and one of the smartest scholars .however, He had many opponent in Maghreb and Mashreq.

This research refutes these falsehoods and shows his real value. Al-Mashdali did not write a lot of books but he formedand learned many students and scientists., Al-Michdali is one of the best examples for our young generations in his robustness and determination to reach his goal and make utmost efforts to achieve their aspirations.

Keywords: Al-Michdali, biography, M`Chdallah, Algerian scientists. Jurists.